ثيودورا وتأثيرها السياسي في انقاذ الإمبراطورية البيزنطية في عهد جستنيان الأول (518–565م)

أ.م.د. نادية محمود فرحان الكحلي
كلية التربية للبنات–جامعة الأنبار

الكلمات المفتاحية: التاريخ القديم. الامبراطورية البيزنطية. ثيودورا

الملخص:

تعد اهمية دراسة هذا الموضوع ثيودورا وتأثيرها السياسي في انقاذ الإمبراطورية البيزنطية في عهد جستنيان الأول (518- 565م)من الموضوعات المهمة في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وفي فترة مهمة من فترات تاريخ الإمبراطورية البيزنطية اذ اختلفت المصادر حول نشأتها، وموطنها، فالبعض أشاد بها وآخرون نقدها.

ثيودورا، زوجة الإمبراطور جستنيان الأول، أحد أشهر أباطرة الروم البيزنطيين، والذي حكم منذ عام 527 إلى عام 565، توجت ثيودورا إلى جانب زوجها حين اعتلى العرش، وكانت موضع ثقته ومستشارته الرئيسية، واعتبرت إلى حد كبير شريكته في الحكم في تلك الفترة الذهبية من التاريخ البيزنطي ،وكان تأثيرها الكبير والجاد على مجريات الأحداث في فترة مهمة من تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وانقاذها العرش من الضياع ، إضافة الى إنجازاتها فيما يتعلق بحقوق المرأة ظلت أوضح من أي خلاف، وقد ذهب البعض إلى اعتبارها من أوائل النسوة في التاريخ؛ لأنها أدت دوراً كبيراً وناجحاً. في أثبات فاعليتها السياسية لإنقاذ الإمبراطورية البيزنطية من السقوط .

المقدمة:

أن الدراسة تهدف اولاً إلى الكشف عن الأساليب والوسائل السياسية التي مارستها ثيودورا في انقاذ الإمبراطورية البيزنطية، فقد وقفت ثيودورا إلى جانب زوجها حين اعتلى العرش، وكانت موضع ثقته ومستشارته الرئيسية، واعتبرت إلى حد كبير شريكته في الحكم في تلك الفترة الذهبية من التاريخ البيزنطي حتى وفاتها (في 28 يونيو/ حزيران عام 548م).

فضلاً عن ذلك كان علينا وضع عدد من الاسئلة والافتراضات في بحثنا هذا عسى ان نجد لها اجابات في ثنايا المصادر ومنها :

- هل الإمبراطورة ثيودورا قادمة من منبج، أم من "بيت الدعارة"؟
- وما حقيقة بيئتها ؟
- وهل التاريخ سجل لها صفحات مجيدة وخالدة تحدثت عن سمو تفكيرها ورجاحة عقلها مما جعلها في طليعة مستشاري زوجها الإمبراطور (جستنيان الاول)؟
- وماهي الاحداث والازمات التي اربكت وضع الامبراطور جستنيان الأول وجعلت الأمور تذهب بادراجها الى هروبه من الإمبراطورية؟
- وما هو خطاب ثيودورا في التأثير لأجل انقاذ الإمبراطورية البيزنطية ؟.

وعليه قسم البحث إلى اربع محاور رئيسية تسبقها المقدمة والحقتها بخاتمة لتشمل على الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة، وثبت بالمصادر والمراجع، وتطرقنا بالمحور الأول : الروايات التي قيلت عن اصل ثيودورا. والمحور الثاني: الاحداث التي ساعدت ثيودورا على تأثيرها في انقاذ الإمبراطورية البيزنطية وجاء المحور ثالث عن: ثيودورا وتأثيرها الديني على الإمبراطورية البيزنطية والمحور الرابع : ثيودورا واعمالها الأخرى

اعتمد في البحث على عدد من المصادر الاولية البيزنطية المهمة وفي مقدمتها كتاب (التاريخ السري لمؤلفه (بيركيبوس)، والمراجع العربية والاجنبية المهمة التي اغنت موضوع البحث ومنها ول ديورانت، قصة الحضارة وياقوت الحموي؛ لأجل التعريف بالبقاع والامكنة التي كانت مقراً للإمبراطورية البيزنطية، وغيرها من المصادر والمراجع العربية التي أثبتها في نهاية البحث،

اولاً: الروايات التي قيلت عن اصل ثيودورا.

ولدت ثيودورا عام 500، وتذهب مصادر عديدة اعتمد معظمها على بروكوبيوس إلى أن والدها أكاكيوس من أصل قبرصي وكان مدربا للدببة، ويعمل في ميدان السباقات في القسطنطينية وأمها ممثلة، أما أختها الكبرى كوميتو، فقد كانت مغنية (بوركوبيوس، 2001، الصفحات 81-85) .

كانت ثيودورا في الرابعة من عمرها حين توفي والدها، وفي سن مبكرة بدأت الفتاة، التي كانت رائعة الجمال، العمل في التمثيل والرقص، وكانت تمثل في مسرحيات صامتة فكاهية وخليعة (خضير، بلا.ت، صفحة 43)، وتقدم استعراضات راقصة في ميدان الألعاب

هيبوردروم(1) تتضمن التعري، وفي تلك الفترة كان هناك ارتباط ضمني بين التمثيل وممارسة الدعارة، فقد كانت ثيودورا مشهورة باستعراض خليع خاص تقدمه مع الأوز، وفي سن الرابعة عشرة كانت لديها ابنة غير شرعية، وكان عمرها 18 عاما، حين أصبحت عشيقة موظف حكومي سوري يدعى هيسيبولوس، وذهبت معه إلى شمال أفريقيا، ويقال إنه كان حاكم ما يعرف اليوم بـ ليبيا (بوركوبيوس، 2001، الصفحات 16-18).

وبعد أن انفصلا، أو تخليه عنها، ذهبت ثيودورا إلى الإسكندرية (Turtleove، الصفحات 53-57) وعملت فترة بغزل القطن، ثم انضمت إلى مجموعة من النساك في الصحراء بالقرب من الإسكندرية (الباز، 1982، صفحة 66)، وهناك اعتنقت المونوفيزية(2).وبعدها عادت ثيودورا إلى القسطنطينية، وعندما التقاها جستنيان الاول(3)، ابن شقيق الإمبراطور جستين الأول(4) (518- 527م)، افتتن بجمالها وذكائها، وأصبحت عشيقته قبل أن يتزوجا عام 525م (Gibban، 1929، صفحة 172) .

لكن مصادر أخرى تقدم لثيودورا نشأة مختلفة تماما: عندما عهد الإمبراطور (جستين الأول) إلى ابن اخته (جستنيان الاول) بمهمة حربية لقتال الساسانيين، مرّ الأمير (جستنيان الأول)

---

(1) هيبوردروم :كان مكانًا حيث تُقام السباقات العربات الخفيفة والخيول، وغالبًا ما كان جزءًا من مجمع مركزي للأنشطة الرياضية والثقافية، أشهر هيبودروم في التاريخ القديم كان هيبودروم القسطنطينية (إسطنبول الحالية) (سعيد، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، 1981، صفحة 47)

(2)المونوفيزية: هي مذهب في اللاهوت المسيحي يؤمن بأن المسيح لديه طبيعة واحدة فقط، وأنه ليس لديه طبيعتين متجانستين، بل طبيعة مزدوجة أو مختلطة. وبالتالي، يعتقد المونوفيزيين أن الطبيعة الإلهية والبشرية للمسيح اندمجت في طبيعة واحدة. للمزيد (الفيومي، 1415هـ/ 1994م، صفحة 122)

(3)أسمه(فلافيوس بيتروس ساباتيوس جستينانوس)، الذي ولد سنة (478 م) أو (483م)` في بلدة تورزيوم على حدود ألبانيا ويذكر« إنّه من أبوين مزارعين من أصل إليرى أو لعله صقلبي يقيمان بالقرب من سرديكا وهي مدينة صوفيا الحالية». فقد عني بتثقيفه وتهذيبه خاله جستين الاول، وقيل عمه،وأخذ يعمل في الحكم منذ الخامسة والثلاثين من عمره، ذا علم منذ البداية بدراية السياسة والشؤون اللازمة، بأمور الدولة، نيابة عن جستين الأول. (التاجوري، 2009، صفحة 78) .

(4) يعد جستين الأول(518-527م) أول افراد هذه الاسرة الذي حكم تسع سنوات وأصله من رومية، وينتسب إلى إقليم أيلليريا في البلقان، جاء الى القسطنطينية مغامراً، ثم ما لبث أن اصبح جندياً باسلاً فالتحق بالحرس الامبراطوري، وظل يتقدم حتى اصبح قومس، وقد وصل الى العرش مغتصباً لا وارثاً له بطريقة لا تزال غامضة. (فتحي، 1989، صفحة 59).

بمدينة منبج(5) السورية التي كان فيها ابو ثيودورا وقد تميزت بجمال الملامح، شدّة الذكاء، والأخلاق الفاضلة... حتى قيل عنها... من المستحيل أن يصف إنسانٌ ما جمال صورتها في كلمات، أو يصوره في آية من آيات الفن... مما يفسر ولع (جستنيان) بها، وطلبه يدها من أبيها الذي وافق بشروط أهمها محافظته على مذهبها.... وتم هذا الزواج فعلاً في عام(526م) (،علي، 1994، صفحة 204)،لكي يتمكن جستنيان من الزواج من ثيودورا، كان لا بد من إصدار تشريع خاص يسمح لعضو مجلس الشيوخ وولي عهد الإمبراطورية من الزواج بالممثلة ذات المنشأ المتواضع والماضي المثير للجدل (بوركوبيوس، 2001، الصفحات 16-17).

وفي النهاية عمه الإمبراطور جستين الأول وافق على الزواج منها وبتالي منحت (ثيودورا) لقب (بطريق). فانطلقت ألسنة الحاقدين والحاسدين والفاسدين في اختلاق الأباطيل التي تشوه سمعتها(6).

وحين صعد جستنيان إلى العرش عام 527م بعد وفاة عمه، توجت إلى جانبه، ومنحت لقب "أوغوستا"، وهو لقب تشريفي إمبراطوري روماني، يمنح للإمبراطورات، والمكرمات من العائلات الإمبراطورية (أ.ايفانز، 2002، صفحة 76). وحقيقة بيئتها الصالحة أم لا ... فقد سجل التاريخ لها صفحات مجيدة وخالدة تحدثت عن سمو تفكيرها ورجاحة عقلها مما جعلها في طليعة مستشاري زوجها الإمبراطور (جستنيان) وهي التي أنقذت بشجاعتها وجرأتها الأدبية عرشه، فقد وصفها بروكبيوس الذي كان متقلبا بشانها، اذ مثلها بمثل دوارة الرياح، التي كانت ثابة لاتلين، وادان لها بالكثير خصوصاً ايام التمرد ، التي كانت مروعة، وقد شعر بالذعر وفقدان التوازن، الا انها كانت تقف على ارضية صلبة وانقذت الموقف لصالحهما معا، وجعلته (جستنيان) يخضع لها اكثر؛لأنه مساعدتها بالطبع لم تكن زوجة فحسب، بل شريكة في الحكم معه لدرجة انها كانت تستطيع استقبال السفراء من الممالك الاجنبية، وتصر على ان يقسم موظفوا الامبراطورية باليمين والولاء لها كما يقسمون لـ(جستنيان) تماما، وكانت تجبر زائريها على الانبطاح على الارض أمامها (بوركوبيوس، 2001، صفحة 16) .كما إنها كانت

---

(5) منبج: مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة، وأرزاق واسعة في فضاء من الأرض، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ. (الحموي ش.، 1995، صفحة ج5/206).

(6) يذكر بأنها اقامت علاقة لاحد مواطني مدينة صور وهو (ايسيبوليس)، الذي عهد اليه الامبراطور جستنيان في حكم المدن الخمس في افريقيا، اذ احبته ثيودورا، وأمست خليلته حقبة من الزمن، ثم نبذها الامبراطور جستنيان لخياناتها المتتالية، وكثرة النفقات التي تبذلها على مباذله. (،علي، 1994، صفحة 204).

لا تقل عن الامبراطور جستنيان كفاية اذ كانت خير عون له في تحقيق المشروعات العسكرية والبحرية، والعلمية، والقانونية، والصناعية والتجارية؛ للقضاء على أكثر منافسيه في جميع المجالات، فأغلقت المدارس الوثنية، وبناء كنيسة القديسة آيا صوفيا الكبرى، وأسس الجامعة الكبرى بالقسطنطينية (ويلز ،هـ.ج، 1994، صفحة 198).

المحور الثاني: الاحداث السياسية التي ساعدت ثيودورا على تأثيرها في انقاذ الإمبراطورية البيزنطية.

في السنوات الأولى من حكم الامبراطور جستنيان الأول من (527- 532م) مقاليد الحكم لم تكن الامبراطورية قد تغلبت علي الأزمات الكبرى التي تعرضت لها منذ آواخر القرن الخامس الميلادي, ففي الأشهر الأخيرة من حكم جستن جدد الفرس الحرب ضد الامبراطورية, وهكذا أصبح الجزء الاكبر من الجيش البيزنطي منشغلا في الشرق, وفي الداخل كانت الفوضي تعم القسطنطينية بسبب الاضطراب في الاداء الحكومي وعدم الرضا عن الحكومة بسبب زيادة جستنيان للضرائب لتمويل حملاته العسكرية، واستبداده بشكل عام،ومما زاد الخطر وجود حزبي الزرق والخضر وكانا في الاصل فرقتين رياضيتين تطورتا إلى حزبين سياسيين في القسطنطينية قد بلغ خطر هذين الحزبين أشده في ثورة نيكا سنة 532م، وهكذا لم يكن جستنيان في مركز يمكنه من الالتفات لمشاريعه الكبرى قبل سنة 532 أي قبل القضاء على الخطر الداخلي وتلافي خطر الفرس، وبالرغم من التنافس السابق بين الحزبين (7) (الخضر

---

(7) حزبا الزرق والخضر: يرجع منشأ هذين الحزبين إلى سباق الخيل الذي كان يقام في الهيدروم – وهو المكان نفسه الذي يتوج فيه الأباطرة- وقد اهتم سكان القسطنطينية بمتابعة السباقات التي كانت تقام في الهيدروم، وكان سائقو عربات السباق يرتدون أربعة ألوان هي الأحمر والأزرق، والأخضر والأبيض، فانقسم المشجعون إلى أربعة أحزاب رياضية، وأصبح شعار كل حزب اللون الذي يشجعه، وقام كل حزب بجمع التبرعات والاشتراكات المعنية بالسائقين وشراء الجياد والاهتمام بها، ومع مرور الوقت تحول التضامن الرياضي إلى تضامن اجتماعي وانظم البيض إلى الخضر، كما انظم الحمر إلى الزرق، وأصبح في العاصمة حزبان هما (الخضر والزرق)، ثم تطور هذا التضامن الاجتماعي إلى تضامن ديني، فساند حزب الزرق المذهب الأرثوذوكسي، بينما ساند حزب الخضر المذهب القائل بالطبيعة الواحدة، وفي عهد الإمبراطور انسطانيوس حل بحزب الزرق اضطهاداً شديداً؛ لأنه كان يميل إلى مذهب الطبيعة الواحدة، فاتجه حزب الزرق إلى الهيدروم ونادوا بسقوط الإمبراطور انسطانيوس، فسهل هذا الأمر للإمبراطور جستين الأول استغلال الموقف لصالحه، إلّا أنّ مشكلة الحزبين ظلّت مستمرة؛ لأنّ جستينيان على الرغم من مساندته للزرق إلّا أنّه كان ينجر وراء رغبات زوجته ثيودورا، فكان حزب الزرق يمثل الطبقة العليا، وحزب الخضر كان يمثل الطبقة الدنيا، ومن ثمّ أصبح الأمر صراعاً طبقياً امتد أثره إلى البلاد واصبح الحال يهدد بالانفجار. (سعيد، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، 1981، صفحة 47).

والزرق) فقد وحدا صفوفهما ضد جستنيان واخذ أنصارهما يعيثون في القسطنطينية فسادا وامتد الشغب ليشمل أرجاء القسطنطينية، وبدأت أعمال تخريب وحرق، طالت عددا من أهم الصروح، ومنها كنيسة آيا صوفيا،لم يكن جستنيان ضعيفا، ولم يكن من السهل سلبه العرش، لكنه حينها كاد أن يهرب من عاصمته مع أنباء عن اقتراب الغوغاء من قصره، لكن ثيودورا نصحته بالبقاء، والحفاظ على إمبراطوريته. وقد حفظ التاريخ كلماتها التي كانت سببا مباشرا في صمود الإمبراطور "لا يهمني ما إذا كان من اللائق لامرأة أن تقدم نصيحة شجاعة لرجل خائف، لكن في لحظات الخطر الشديد يكون الضمير هو المرشد الوحيد، كل إنسان ولد وشهد ضوء النهار، سيموت عاجلا أم آجلا، وكيف للإمبراطور أن يسمح لنفسه بأن يصبح هاربا؟ إذا كنت يا سيدي ترغب بالنجاة بجلدك، فلن تواجه صعوبة في القيام بذلك. نحن أغنياء، والبحر هناك، وهناك أيضا سفننا. لكن ضع في اعتبارك أولا، ما إذا كنت لن تندم حين تصل إلى الأمان لأنك لم تختر الموت. أما أنا فأتمسك بالقول المأثور: العباءة الملكية هي أفضل الأكفان" (الباز، 1982، صفحة 81).

وعندها غير جستنيان رأيه، وأمر قائده بيليساريوس، بالقضاء على مثيري الشغب، فطاردهم وحاصرهم في ميدان السباق، وحصلت مذبحة مروعة قتل فيها ثلاثون ألف رجل على الأقل كما ذكر بروكوبيوس (ول، 1973، صفحة ج217/12). وهكذا نجا جستنيان من هذا الخطر الداخلي الكبير,بل تمكن في نفس الوقت من القضاء على الكثير من القوي السياسية التي كانت تمارسها الأحزاب في القسطنطينية ،واستتب الأمر لجستنيان في عاصمته، وفي نفس العام الذي قضي فيه على ثورة نيكا عقد جستنيان معاهدة مع ملك فارس تعهد الأول بمقتضاها بدفع جزية كبيرة مقابل إيقاف الحروب على الحدود، وهكذا تمكن جستنيان من أن يأمن جانب الفرس لفترة من الزمن وأصبحت له حرية كبيرة لكي يمارس مشاريعه لإعادة بناء الامبراطورية (رستم، 1408هـ/1988م، الصفحات ج196/1-170).

لم يقف دور ثيودورا عند هذا الحد فقد تحركت بسرعة عندما تفشى مرض الطاعون في ربيع عام 542في الإمبراطورية، فأصيب جستنيان به ، وأثناء مرضه الشديد كانت ثيودورا هي الحاكمة الوحيدة طوال عام كامل (سعيد، حضارة أوربا في العصور الوسطى، 1999، صفحة 114).

عندها أمرت بإعفاء الجنرال بيليساريوس من قيادته ومصادرة ممتلكاته ، الذي اعتبرته أكبر منافس لها ،لكن جستنيان بعد تعافيه في العام التالي أمر بعودة بيليساريوس إلى منصبه

خصوصا مع تزدياد الاخطار الخارجية التي كانت تحيط بالإمبراطورية (الباز، 1982، الصفحات 73-74).

المحور الثالث : ثيودورا وتأثيرها الديني على الإمبراطورية البيزنطية

وعمد جستنيان إلى أن جعل الكنيسة أداة متجانسة يتخذها وسيلة للحكم، فيوفق بين السلطتين الدينية والدنيوية، وبما أنه كان مخلصاً في عقيدته الدينية، فإنّ غرضه من توحيد الدين لم يكن سياسياً فحسب، فقد كان هو نفسه يعيش في قصره عيشة الراهب في ديره على قدر ما تسمح له بذلك ثيودورا؛ يصوم، ويصلي، وينكب على دراسة المؤلفات الدينية، ويناقش دقائق العقائد الدينية مع الفلاسفة، والبطارقة، والبابوات (فتحي، 1989، صفحة 120)، بينما تتهمه الدكتورة اسمت((غنيم،أسمت، 1977، صفحة 84)، «بأن الامبراطور قد تخلى عن أداء واجبه الديني والسياسي تجاه الاقاليم الغربية للإمبراطورية ويعتبر خيانة للمثالية الرومانية، ويتضح ذلك عند استعادته الاقاليم الغربية كان مسالة شديدة الاهمية بالنسبة لإمبراطور متشبع بالتقاليد والمثل الرومانية، فوجدت المثالية الرومانية في شخص جستنيان المؤمن بها والمنفذ لها»، فقد رأى أن هدفه الاسمى يتحقق من خلال اعتقاده الراسخ بضرورة اعادة الاتحاد المذهبي مع روما متمثلة في دعوة البابا هورميزاس للقسطنطينية، كخطوة أساسية في طريق الوحدة السياسية بين شطرى الامبراطورية، التي كانت من مستلزماتها البدء بالاتحاد المذهبي مع روما، وهو ما أثبتته الحوادث المتلاحقة فيما بعد، فقد بذل جهداً في السير قدماً نحو تأكيد العمل في المجال الديني وفقا للمذهب الخلقيدوني، واسترداد الاجزاء السليبة بالغرب (محمد، 1421هـ/2001م، صفحة ج93/1).

إلّا أنْ ثيودورا وأساليبها في دفاعها عن مذهبها- ذو الطبيعة الواحدة-، أبرزته في ثباتها على الامبراطور جستنيان المتردد في هذه المسألة كما تغلبت عليه في كثير من المسائل الأخرى، فأخذت تتآمر مع شماس روماني يدعى (فيجيلوس) وتعرض عليه أنْ تنصبه بابا إذا قبل ببعض مطالب اليعقوبيين، وأثمرت هذه المؤامرة ثمرتها، فأخرج بليزاريوس البابا سلفريوس من روما (537م) ونفي إلى جزيرة بلماريا (8)حيث لقي حتفه مما لقيه من قسوة، ونصب فيجليوس بابا في مكانه بأمر الإمبراطور، وقبل الامبراطور جستنيان آخر الأمر رأي ثيودورا

([8]) جزيرة بالماريا : جزيرة بالماريا هي واحدة من الجزر الكنارية، وهي مجموعة من الجزر الواقعة في المحيط الأطلسي قبالة ساحل المغرب. تحديداً، تقع جزيرة بالماريا إلى الشمال الشرقي من الجزر الكنارية الرئيسية، وتعتبر جزءًا من مقاطعة لاس بالماس في إسبانيا (https://poe.com/chat/2uv0l94wd6xhawd7q36، بلا تاريخ)

القائل بأنّ مذهب اليعاقبة لا يمكن القضاء عليه، وأرغمته بأنْ يمسك العصا من الوسط، فحاول أنْ يسترضي أتباعه في وثيقة دينية تعرف باسم الفصول الثلاثة(9)؛لأنَّه وجد نفسه بين نارين بين مذهب أصحاب الطبيعة الواحدة في الأقاليم الشرقية، اذ كانت ثيودورا تناصرهم وتعمل بالخفاء على نشره، وبين مذهب اصحاب الطبيعتين في روما الذي كان جستنيان يريد تحقيق مكاسبه السياسية من خلاله (سعيد، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، 1981، صفحة 45)، ثم سارع فاستدعى فيجليوس إلى القسطنطينية وألحَّ عليه بأنْ يوافق على هذه الوثيقة، وأجابه فيجليوس إلى طلبه على كرّه منه، فما كان من رجال الدين الكاثوليك في أفريقية إلّا أنْ أعلنوا طرده من الكنيسة وتجريده من رتبه الكهنوتية سنة (550م) (ول، 1973، صفحة ج234/233/12)، وحينئذ قام الامبراطور جستنيان بمحاولة سافرة للسيطرة على البابوية لم يقم بها إمبراطور غيره من قبله، ذلك أنّه دعا إلى عقد مجلس عام يضم أساقفة الغرب، ووافق المجلس على المبادئ التي وضعها الامبراطور جستنيان، ووضع نفسه ملكاً وكاهناً أعلى (بينز،رنسمان، 1950، صفحة 49)(. فقد رأى أنّ دعامة الملك لا تستقيم إلّا بضم الكنيسة داخل اطار الدولة، والمقصود بها أن ألّا تضع كنيسة الدولة تحت حماية الدولة فحسب، وانّما أنْ تخضع لأرادتها؛ لأنّ لكل منهما هدفاً مشتركاً سامياً لأجل المسيح والعالم المسيحي لإحياء السيادة الرومانية (غنيم،أسمت، 1977، صفحة 62).

لا شك أنّ قرار جمع جستنيان للسلطتين الزمنية والروحية (بينز،رنسمان، 1950، صفحة 49)، جاء من شعوره بأنه أهل لها، وأن يكون رئيساً للدولة وللكنيسة في آن واحد؛ لأنّه برع في التدخل الدائم للمناظرات والمشحانات اللاهوتية ويبدي رأيه فيها ويعفي الاساقفة ويعين غيرهم في مناصبهم ويدعوهم الى المجامع ويدير أعمالها ويوافق على قراراتها أو يعدلها أو يلغيها إذ كانت ترجع إليه القرارات الاولى والاخيرة في المشاحنات اللاهوتية والمناظرات، وابدى الرأي

---

(9) إنّ تسمية الفصول الثلاثة ما هي الا امر للإمبراطور البيزنطي جستنيان الاول بالشجب، اذ حوى ثلاث تعليقات بمؤلفات ثيودوروس، ثيودرويطس، وايبا، ثم أصبحت الفصول الثلاثة تدل على اشخاص ثيودوروس، ثيودرويطس، وايبا انفسهم. رستم: الروم، ص:183-184؛ غير إنّ الشاعر ،فتحي يذكر أنّ ثيودور المصيصى الاب الروحي للنسطورية، وثيودوريت هو اسقف انقرة (433-458م) الذي كان قد أقام بتنفيذ الحروم الاثني عشر لكيرلس وكان يدين بمذهب نسطور، ويعتقد بطبيعتين منفصلتين في المسيح، أما ايباس وهو اسقف الرها (430-357م) الذي كتب رسائل هاجم فيها كيرلس.(السياسة الشرقية، ص153).

في إعفاء الاساقفة وتعيين غيرهم في مناصبهم، والدعوة للمجامع والعمل في ادارتها بما يتفق مع قراراته من تعديل أو إلغاء (رستم، 1408هـ/1988م، صفحة ج179/1).

قدم بروكوبيوس صورة جستنيان وثيودورا كزوجين متدينين، وأشاد بهما، خصوصا بإنجازات جستنيان في الحرب والهندسة المعمارية، والتي تتضمن بناء كنيسة آية صوفيا بالشكل المعروف اليوم، إلا أنه في كتاب بعنوان "التاريخ السري" أو "أنكدوتا"، كتبه لاحقا، جاء بصورة مغايرة تماما لثيودورا وأطلق عليها وصف "الإمبراطورة القادمة من بيت الدعارة" (بوركوبيوس، 2001، الصفحات 62-64).

بالإضافة إلى ذلك، تدخلت ثيودورا في الشؤون الدينية بمبادراتها الخاصة. قدمت دعمًا قويًا للأعمال الخيرية والتبرعات للكنائس والأديرة، وشجعت على بناء وتجديد المباني الدينية. كما قامت بإصدار أوامر لحماية الكنائس وضمان حرية العبادة (الباز، 1982، صفحة 101).

يجب أن نلاحظ أن الدور الديني لثيودورا لم يكن محدودًا فقط للمسيحية، بل أظهرت أيضًا احترامًا للأديان الأخرى. تعتبر ثيودورا من أحد الشخصيات التي تعززت من الحرية الدينية والتسامح في الإمبراطورية البيزنطية (بينز،رنسمان، 1950، صفحة 67).

المحور الرابع : ثيودورا واعمالها الأخرى

يذكر التاريخ ان لثيودورا كانت من أوائل المدافعات عن حقوق المرأة، وأنها قبل أكثر من ألف وخمسمئة عام، أصدرت قوانين صارمة لحظر الاتجار الجنسي بالفتيات الصغيرات والنساء، وعدلت قوانين الطلاق لصالح المرأة (بينز،رنسمان، 1950، صفحة 262).

بالنسبة للطلاق، ألغت قانون "الموافقة المتبادلة"، الذي كان يشترط موافقة الزوج والزوجة ليحصل الطلاق، ما سمح للنساء بتطليق أزواجهن وإن رفضوا ،كما منعت إجبار الفتيات على الزواج، وعملت على إصدار قانون يتطلب موافقة الفتاة مرتين. الأولى عند الخطبة، والثانية قبل عقد الزواج مباشرة، للتأكد من أنها لم تغير رأيها، كان من المتعارف عليه حينها أن العروس تجلب معها دوطة، ويقدم العريس هدية رمزية مقابلها، إلا أن ثيودورا، ألزمت الزوج بتقديم ما هو مساو تماما لدوطة العروس ،وبفضل ثيودورا، أصبح للمرأة الحق في الملكية ووراثة ثروة عائلتها أو زوجها، كما أصبح الاغتصاب يعاقب عليه بالإعدام (بينز،رنسمان، 1950، صفحة 261).

ومن منجزات ثيودورا المهمة، منع سماسرة الدعارة من السيطرة على النساء والإتجار بهن، كما أصبحت حرية الاختيار متاحة لمن تريد ترك مهنة الدعارة، وفتحت ثيودورا أماكن خاصة لإقامة البغايا السابقات ليتمكن من البداية بحياة جديدة وكسب احترام المجتمع

(عبدالفتاح، 1976، صفحة ج246/242/4).كل ذلك سجل تأثير كبيراً على ما يعرف بـ"مدونة جستنيان"، وهي مجموعة القانون المدني المؤلفة من أربعة أقسام والتي أصدرها الإمبراطور جستنيان، وتعتبر أساسا للقوانين الأساسية في أوروبا والكثير من بلدان العالم،وقد ورد اسمها (ثيودورا)في جميع القوانين التي صدرت خلال تلك الفترة تقريبا، وكانت تستقبل مبعوثين وسفراء أجانب وتراسل الحكام، وهي أمور كانت عادة حصرا على الإمبراطور (بينز،رنسمان، 1950، الصفحات 325-326).

وفاتها:

توفيت ثيودورا يوم 28 يونيو/حزيران عام 548م، وتقول أغلب المصادر إن السرطان كان سبب وفاتها (بينز،رنسمان، 1950، صفحة 67). وحزن جستنيان طويلا عليها، ورغم أنه عاش بعدها 17 عاما، لم يتزوج، ولم يكن أبدا كحاله حين كانت إلى جانبه (بوركوبيوس، 2001، صفحة 18).

الخاتمة :

- كانت ثيودورا، شخصية مثيرة للجدل، وقد تحدث مؤرخون عن عشقها للسلطة والحياة الفاخرة وضلوعها في دسائس ومؤامرات، لكن من الجدير بالذكر هنا، أن التفاصيل المعروفة عنها وصلتنا عبر مؤرخين رجال، وخصوصا بروكوبيوس، ومن المعروف أن امرأة لا تشبه النموذج التقليدي للنساء الخاضعات في المجتمع البيزنطي كان من الطبيعي أن تكون مرفوضة ومكروهة، وليس من غرابة على الإطلاق عليها الاكاذيب كما فعل بروكوبيوس، فهناك كثير من الآراء التي تجد أن كتاب "التاريخ السري" يغص "بالشائعات والثرثرة الكيدية"، وأن بروكوبيوس تعمد تضمينه بعض الحقائق، لكي يضفي هالة من الصحة على ما تبقى، ويجعل الماضي المشين الذي رسمه لثيودورا أقرب للتصديق.

-تتجلى أهمية دور ثيودورا في السياسة البيزنطية والدعم القوي الذي قدمته لزوجها في حادثة ثورة "نيكا" في يناير/كانون الثاني عام 532، وكانت من الممكن أن تقضي تماما على حكم جستنيان الأول وامبراطوريته .

-تحرج مركز جستنيان لدرجة أنه فكر في الفرار من القسطنطينية لولا موقف زوجته ثيودورا وجرأتاها وتشجيعها لجستنيان ورجاله لكي يصمدوا ضد الثوار, وقد انتهي الامر بتغلب الامبراطور على خوفه,فأرسل قائده الشهير بليزاريوس ورجاله لمواجهة الجمهور الثائر,وتمكن هذا القائد من إخماد الثورة بعد مقتل 30ألف نفس.

- كما وكان لها دورا في الحياة الدنية والاجتماعية في والمساواة بين الجنسين في وقت كانت فيه النساء يحظر عليهن العديد من الحقوق والفرص. قدمت ثيودورا مساهمات هامة في مجالات مثل تحسين ظروف العمل للنساء ومكافحة الاتجار بالبشر.

قائمة المصادر والمراجع:

أ. هـ جونز. (1987م). مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية. الاردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.

الباز العريني. (1982م). الدولة البيزنطية1081،323 (المجلد بلا.ط). بيروت: دار النهضة العربية.

بروكبيوس. (2001م). التأريخ السري جانب من جوانب حياة الإمبراطور جستنيان وزوجته تيودورا وقائده المغوار بليزاريوس وزوجته انطونينا صورة سيئة (المجلد ط1). عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية.

بينز،رنسمان. (1950). الإمبراطورية البيزنطية. (حسين مؤنس، ومحمود يوسف زايد، المترجمون) القاهر: مطبعة لجنة التاليف والترجمة.

التاجوري، محمد مفتاح. (2009). التأريخ السياسي والاقتصادي لشمال افريقيا أثناء حكم الامبراطور جستنيان (المجلد ط1). طرابلس: المركز الوطني.

جيمس أ.ايفانز. (2002). الامبراطورة ثيودورا شريك جستنيان . اوستن.

الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت. (1995). معجم البلدان (المجلد ط2). بيروت: دار صادر .

ديورانت، ول. (1973). قصة الحضارة (المجلد ط3). (جامعة الدول العربية، المحرر، و محمّد بدران وغيره، المترجمون) القاهرة .

رستم، أسد. (1408هـ/1988م). الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب (المجلد ط2). بيروت: المكتبة البوليسية.

رنسيمان، ستيفن (1994م). الحضارة البيزنطية . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية .

الشاعر، محمد فتحي. (1989). السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الصَّلاَّبي عَلي محمد. (1421هـ/2001م). الدولة العُثمانية - عَوَامل النهُوض وأسباب السُّقوط (المجلد ط1). مصر: دار التوزيع والنشر الاسلامي.

العريني ، الباز. (1982). الدولة البيزنطية 1081-323هـ بيروت: دار النهضة العربية .

عاشور ،سعيد عبد الفتاح. (1976). تاريخ أوربا في العصور الوسطى (المجلد بلا .ط). بيروت: دار النهضة.

عاشور، سعيد عبدالفتاح. (1976). تأريخ أوربا في العصور الوسطى. بيروت : دار النهضة .

عبيد،طه خضير. (بلا.ت). تاريخ الدولة البيزنطية 324-1453م (المجلد ط1). الاردن: دار الفكر.

عمران،محمود سعيد. (1981). معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية. بيروت.

عمران،محمود سعيد. (1999). حضارة أوربا في العصور الوسطى. بيروت : دار النهضة العربية

غنيم،أسمت. (1977). امبراطورية جستينيان. جدة : منشورات المجمع العلمي .

غنيم ،اسمت. (1991م). الآفار. مصر، الاسكندرية،.

الفيومي محمد ابراهيم. (1415هـ/ 1994م). تاريخ الفكر الديني الجاهلي. بيروت: دار الفكر العربي.

القيم ،علي. (1994). دور سورية في بناء الحضارة الانسانية عبر التاريخ القديم (المجلد ط1). دمشق: الروضة.

ويلز ،هـ.ج. (1994). موجز تاريخ العالم. (عبد العزيز توفيق جاويد، المترجمون) مصر: الهيئة المصرية للكتاب.

references

Gibban . (1929) .

The Decline and Full of the Roman Empire.o xford

HaryTurtleove.

. The Cronicle Of Theophanes(602-813)

Gerge ،Ostrogorsky. (1968)

History Of The Byzantine State Transleted . Oxford

Theodora and her political influence in saving the Byzantine Empire during the reign of Justinian I(518-565 AD)

Assist prof Dr. Nadia Mahmoud Farhan Al-Kahli

College of Education for Girls- University of Anbar

edw.nadeh_alkhlee@uoanbar.edu.iq

Keywords: Ancient History. Byzantine Empire. Theodora

Summary:

The importance of studying this topic (Theodora and her political influence in saving the Byzantine Empire during the reign of Justinian I (518-565 AD) is considered one of the important topics in the history of the Byzantine Empire and in an important period in the history of the Byzantine Empire, as the sources differed about its origins and its homeland. Some praised it and others criticized it

Theodora, wife of Emperor Justinian I, one of the most famous Byzantine emperors, who ruled from 527 to 565. Theodora was crowned alongside her husband when he ascended the throne. She was his trusted and main advisor, and was largely considered his partner in rule during that golden period of history. Byzantine, and her great and serious influence on the course of events in an important period in the history of the Byzantine Empire and her saving the throne from loss, in addition to her achievements with regard to women's rights remained clearer than any dispute, and some have considered her to be one of the first women in history, because she played a major role. And it was successful in proving its political effectiveness to save the Byzantine Empire from falling.